النشاط الاقتصادى فى طرابلس الغرب

خلال العصر البيزنطى

(٢٨٤ - ٦٤٣م)

إعداد

د/ كميل عزيز صليب

يطلق مسمي تريبوليتانا Tripolitania على المناطق التي تضم كلاً من ساحل سرت [١] ، ومدينة أويا [٢] ، وصبراته [٣] ، ولبدة العظمي[٤] والأراضي التابعة لها في العصر البيزنطي، وهي تقابل الآن أسم منطقة طرابلس الغرب التي كانت احدي الولايات السبع التي تمثل ولاية أفريقيا في العصر البيزنطي ، ويطلق على المنطقة الممتدة من خليج سرت بليبيا شرقًا وحتي حدود تونس الحالية غربًا[٥] .

وقد جذبت منطقة طرابلس الغرب أنظار الفينيقيين والرومان إليها منذ القدم بحكم موقعها الممتاز ، بل وأصبحت مسرحًا للصراع العنيف بين الفريقين من أجل السيطرة عليها ، حتي تمكن الرومان من بسط

---

(١) مدينة سرت : هي مدينة على ساحل البحر المتوسط بين برقة وطرابلس الغرب ، وهي مدينة كبيرة تشتهر بالنخيل والبساتين والآبار . ياقوت الحموي : معجم البلدان في معرفة السهل والوعر والخراب والعمار من كل مكان، بيروت – لبنان ١٩٧٧، ج٣ ، ص٢٠٦

(٢) أويا : هي إحدي مدن منطقة طرابلس ، وقد أطلق عليها اسم المنطقة عليها فيما بعد، ويعتبر أقدم تعريف لها ما ذكره المؤرخ بروكبيوس حيث يذكر أنها تقع على امتداد شاطئ خليج سرت وسكانها من البربر الموريين، وقد اعتنقوا المسيحية في عهد الامبراطور جستينيان ، وأطلق البيزنطيون على سكانها لقب الباكاتي Pacati : أي ناقضوا السلام .

Procopuis : De Aedificiis of Corupus eeripturum Historiae Byzantina, Boon, 1838, pp. 335 – 337 .

(٣) صبراته : هي إحدي مدن طرابلس ، ويذكر المؤرخ بروكبيوس أن شاطئ صبراته يمتد نحو البحر ، ولها موقع جغرافي جميل حيث تشرف على البحر والأمواج قريبة منها يراهي الراني من بعيد ، ولها قلعة منعزلة وقد أحاطها الامبراطور جيستنيان بالأسوار الضخمة وزينها بكنيسة رائعة .

Procopuis, op. cit.. pp. 334 – 335, 337 .

(٤) لبدة العظمي : يذكر المؤرخ بروكوبيوس أنها مدينة كبيرة آهلة بالسكان، وقد اهتم بها الامبراطور جيستنيان وشيد لها أسوار متينة لحمايتها من غارات البدو واللصوص .

Procopuis, op. cit., p. 335 .

(5) Ibid, op. cit., p. 332 .

Charls H. Diehl : L'Afrique by Zantine Histoire, Paris, 1896, p. 229.

سيطرتهم عليها وضمت لأملاك الرومان في عام ١٠٦ق.م ، واحتلت مكانة خاصة أثناء حكم دقلديانوس ، واستمرت تلك المكانة أيضًا في عهد الوندال ، والذين حكموا تلك المنطقة قرابة قرن من الزمان ، حتي نجح البيزنطيون من استردادها مرة أخري عام ٥٣٤م لتصبح من أملاك الدولة البيزنطية واستمرت بأيديهم قرابة قرن آخر من الزمان حتي تمكن المسلمون من بسط سيطرتهم عليها عام ٦٤٣م [١].

عرفت منطقة طرابلس منذ القدم حرفة الزراعة ، وذلك طبقًا لروايات المؤرخين اليونانيين ، حيث أشاروا إلى أن مدينة أويا قد عرفت الزراعة والاستقرار بفضل موقعها على ساحل البحر ، مما جعلها تتعرض لسقوط الأمطار الشتوية والتي كان سكان طرابلس يقومون بتخزينها في باطن الأرض لاستخدامها في الزراعة وقت الحاجة ، ويضاف إلى ذلك ، أنها كانت محاطة بعدة واحات غنية أمدت السكان بكافة احتياجاتهم من الماء والغذاء [٢] ، أما مدينة لبدة العظمى، فقد أنشئت في أخصب بقاع منطقة طرابلس ، واشتهرت بازدهارها الزراعي[٣]، وهذا القول ينطبق بالطبع على مدينة صبراتة، ولعل هذا

---

(١) يلاحظ أن المصادر العربية لم تشر إلى كلمة طرابلس حتي سنة ٢٣هـ/٦٤٣م عندما أرسل القائد عمرو بن العاص كتابة إلى الخليفة عمر بن الخطاب يخبره باستكمال فتح طرابلس ، ثم بدأ بعد ذلك يظهر اسم طرابلس في المصادر العربية، فقد ذكرها الادريسي بأنها مدينة على ساحل برقة ، وذكرها الطرابلسي بأنها مدينة أنيقة حسنة الجو يتميز سكانها بالشجاعة وقوة العزم، وطرابلس اسم رومي معناه: ثلاث مدن، هي ليدة ، وطرابلس ، وصبرة . لمزيد من التفاصيل : ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ليدن ١٩٣٠، ص١٧١؛ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٩، ص٣٤؛ الطرابلسي : تاريخ طرابلس الغرب المسمي التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار ، القاهرة ١٣٤٩هـ، ص٧ -٩.

(2) Procopius, De Bello Vandalico, C. F. (C.S.H.B) Boon, 1838, p.450. Procopius, De Aedificiis, p. 335; Philip Curtin, Africana History, London, 1978. p. 40.

(3) Procopius, De Aedificiis, p. 335; Hinry Serrano, Libya Serrano the new Arab Kingdom, New York, 1965, p. 11.

النشاط الزراعي قد جذب الفنيقيين منذ القدم لإقامة مراكزهم التجارية حيث يتوفر الغذاء وسبل العيش، ولقد كان الفنيقيون بجانب اشتغالهم بالتجارة أيضًا من أمهر الزراع (١) .

وساعدهم على ذلك اختراع المحراث الذي طور – إلى حد كبير – أسلوب الزراعة ووفر الوقت والجهد ، فبعد أن كان الفنيقي يعتمد على قوته الجسمانية، وجد في آلة المحراث ما يعينه ويريحه، كما أن السهول الساحلية دربتهم على زراعة الحدائق الكثيفة فيما بعد ، مما أدي إلى تنوع المحاصيل، فقد وجه أصحاب رؤوس الأموال القرطاجيين عند استقرارهم في منطقة طرابلس، أموالهم لزراعة الحدائق بكثرة ، واستثمروا أموالهم كذلك في استصلاح مساحات من الأراضي وأدخلوا عليها تحسينات ناجحة بوسائلهم الجديدة في الزراعة ، حيث استخدموا أدواتهم المعدنية التي جلبوها معهم، لأن الفنيقيين عرفوا من قبل معدن النحاس والبرونز ، كما أنهم أطلعوا على صناعة الحديد (٢) .

وكانت شجرة الزيتون من أهم المحاصيل الشجرية التي تزرع في هذه المنطقة لملائمة الظروف المناخية لنموها ، كما أدخلوا زراعة أنواع الأشجار المثمرة الأخري المهمة والملائمة لمناخ منطقة طرابلس ، كالتين، والرمان، والخوخ، والكروم، وأشجار اللوز ، وقد تمكنوا كذلك من استغلال الفائض من مياه الأمطار، فاستطاعوا تخزينها في صهاريج استعملت بعض منها في العهد الروماني (٣) .

---

(١) كان الفينيقيون من أمهر الزراع في العصور القديمة ، إذ أن طبيعة أرضهم ومواردها الفقيرة جعلتهم يعتمدون على الزراعة وساعدهم ذلك في تطوير أساليبها راختراع الآلات الزراعية ، المؤتمر التاريخي : ليبيا في التاريخ ، الجامعة الليبية ، طرابلس ١٩٦٧، ص١٣٢ .

(٢) المؤتمر التاريخي : ليبيا في التاريخ ، ص١٣٢؛ مصلحة الآثار : المرشد إلى آثار لبدة الكبرى ، ص١٦ ، محمد بن مسعود : تاريخ ليبيا العام، الطبعة الثالثة، ليبيا ، ١٩٥٢، ص٥٧ .

(٣) شارل جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ترجمة محمد مزالي، تونس ١٩٧٨، ص١١٢ ؛ محمد بن مسعود : تاريخ ليبيا ، ص٥٧ .

ومع بداية الغزو الروماني لمنطقة طرابلس وأفريقيا ، تـــدهورت الزراعة والاقتصاد، لأن روما حرصت على ألا يكون هناك منافس لها في زراعة الكروم والزيتون المربحة، وشرعت في سياسة حصر القبائل في مناطق محدودة ، وفي عهد أسرة سبتيموس سيفروس ، عادت روما وسمحت بزراعة العنب والزيتون كوسيلة للإفادة من إنتاج المــساحات الصغيرة ، والأراضي غير الصالحة لزراعة القمح، فانتشرت مــزارع الزيتون التي كانت عبارة عن مساحة مستطيلة محاطة علـــى جوانبهـــا الأربعة بصفوف من الغرف التي ربما كانت مساكن للعمـــال ومخـــازن وما شابه ذلك ، وخلف الطرف الجنوبي الغربي للساحة كانـــت ســـاحة صغيرة مكشوفة يجري الدخول إليها من بوابة مـــسقوفة تقـــضي إليهـــا مباشرة من الخارج من الزاوية الجنوبية للجدار الخارجي المحيطة بقلعة المزرعة. ووجود أحواض سقاية حجرية على هذه الساحة تـــدل علـــى وجود حظيرة للحيوانات(١) ، ولذلك لوحظ في تلك الفترة الممتـــدة بـــين نهاية القرن الأول ومنتصف القرن الرابع ، وجود قصر صاحب الأرض Villa ويقع وسط بستان أو متنزه فسيح (٢) .

كما اهتم الرومان على عهد أسرة سيفروس بتنوع إنتاج المحاصيل الزراعية المختلفة، وخاصة الزيتون حيث كانت تزرع أشجاره بتوســـع حول أويا ، كما أدخلوا زراعة التين، وكان الإنتـــاج الزراعـــي يـــسد الحاجة(٣) ، ومما ساعد على تشجيع زراعة أشجار الزيتـــون وتوســـيع رقعته الزراعية – وبالأخص حول أويا ، ولبدة العظمي، وصـــبزاته –

---

(١) البرغوتي : التاريخ الليبي القديم ، بيروت ١٩٧٠، ص٥٩٧ .

(٢) جين أفريك : تاريخ أفريقيا ، اشراف جمال الدين مختـــار، اليونـــسكو، ١٩٨٥، ص٤٩٤ - ٤٩٥ .

(3) Andre Aymard et Jeannine : Ron et son Empire, Paris, 1857, pp. 42 – 43.
Philip Curtin : Africana History, London, 1978, p. 10.

توافر رأس المال الروماني ؛ فمنذ بداية القرن الثاني الميلادي، كان اهتمام البدو بزراعة وتشجير المساحات الداخلية من أراضي طرابلس والتي لم تمتد إليها يد بالتشجير من قبل، وكان ذلك التشجير يتم على نفقتهم الخاصة، على أن الحكومة في ذلك الوقت كانت تعطيهم حق ملكية تلك الأشجار التي قاموا بزراعتها ، كما كانت في الوقت نفسه تعفيهم من الضرائب التي كانت مقررة على أشجار الزيتون والكروم، وكانت المساحات الساحلية تشغلها مزارع ذات إنتاج متنوع تهدف إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي من عدة محاصيل يعتمد عليها السكان في حاجاتهم اليومية ، وعلى ذلك كانت الزراعة في ذلك الوقت تمثل الدور الأساسي وأهم مصادر الدخل لمنطقة طرابلس (١) ، وفي عهد الإمبراطور دقلديانوس، استمرت زراعة أشجار الزيتون لأهميته في الصناعة خاصة استخراج الزيوت التي كانت تمثل الركيزة الأساسية في الاقتصاد لمنطقة طرابلس منذ بدايات القرن الأول الميلادي؛ حيث كان هناك طلب متزايد لتصدير زيت الزيتون ، لما له من أهمية ، إذ كان يستخدم بكثرة في أعمال التدليك في الحمامات ، وكذلك في أعمال الإنارة (٢) .

وعن وضع وتنظيم الممتلكات الإمبراطورية الكبيرة فقد تولي أمر هذه الضياع متعهدون أو ملتزمون ، كانوا يستخدمون وكلاء عنهم لإدارتها ، وكان وكيل الضيعة أو ناظرها يقوم بتنمية موارد جزء من الأرض بنفسه، وربما استخدم عبيدًا وعمالاً زراعيين فضلاً عن الخدمات الإلزامية التي كان المزارعون المؤاجرون مطالبين بها، وكان هؤلاء المزارعون (Coloni) رجالاً أحرارًا يزرعون الجزء الأكبر من الأملاك كمستأجرين (من الباطن) من الملتزمين، وكان الغرض الأساسي

---

(1) Procopius, De Bello Vandalico, p. 331 .
البرغوتي ، التاريخ الليبي ، ص٣٣٨.
(٢) البرغوتي : نفسه ، ص٣٣٧ – ٣٣٨.

من قانون مانكيا [١] ، هو تقرير حقوق وواجبات الملتزمين ووكلائهم من ناحية ، وحقوق هؤلاء المزارعين المؤاجرين من ناحية أخري [٢] .

ومنذ القرن الرابع وما يليه كانت كلمة المستأجرين تعني كل الفلاحين الذين يزرعون ضياع الإمبراطور أو الضياع المملوكة لغيره من الشخصيات في مناطق أفريقيا والإمبراطورية عامة، وكانوا أحرارًا، ولكن حريتهم كانت تتناقص بالتدريج بصدور قوانين تحرم عليهم ترك الأراضي التي يعملون بها، وكان مالك الأرض مسئولاً عن دفع الضرائب المفروضة على المستأجر، وهذا يؤثر عليه إذا اضطرب نظام الدورة الزراعية ، وهذا ما دفعه إلي ربط الفلاح بالأرض ، حتي صار مركز الفلاح القانوني شبيهًا بمركز العبد، مما أدي إلي نشأة ظاهرة عبودية الأرض Serfdom [٣] .

---

(١) قانون مانكيا هو عبارة عن تنظيمات عملية ، والغرض الأساسي لذلك القانون هو تقرير حقوق وواجبات الملتزمين ووكلائهم من ناحية ، وهؤلاء المزارعين المؤاجرين Coloni من ناحية أخري، وكان المبدأ هو : في مقابل تسليم ثلث محصولهم السنوي وتخصيص عدد من الأيام للعمل في الأرض التي كانت تحت الإشراف المباشر للوكيل أو ناظر الضيعة Villicus ، في مقابل ذلك تمتع المزارعون – في قطع الأرض المخصصة لهم – بحق الإنتفاع الذي يمكنهم أن يوصوا به لورثتهم بل وبيعه، بشرط أن يترك صاحب الحق الجديد دورة المحاصيل الزراعية على ما كانت عليه مدة سنتين متتاليتين، وقد طبق قانون مانكيا في عصر الإمبراطورية الأخيرة أيضًا . جين أفريك : تاريخ أفريقيا ، ص٤٩٦ .

(2) Lonicus Chalcondylas, De Rebus Turcicis of (C.S.H.B), Boon, 1934, p. 87.

ولمزيد من التفاصيل أنظر : جين أفريك : المرجع السابق، ص٤٩٦ – ٤٩٧ . شارل جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ص٢٢٢ – ٢٢٤؛ عبد اللطيف البرغوتي : تاريخ ليبيا ، ص٤٣٧ .

(٣) جين أفريك : المرجع السابق . ص٤٩٧ ؛ شارل جوليان : المرجع السابق ، ص٢٢٢ – ٢٢٤.

وفيما يتعلق بتربية الحيوان في منطقة طرابلس ، يتضح أنه قبل مجئ الفنيقيين إلى طرابلس بألف عام تقريبًا ، عرف الليبيون استئناس الحيوان، واهتموا بتربيته ، فكانوا يربون الأبقار والجياد والغنم والماعز[١] ، وقد اهتم الفنيقيون ومن بعدهم الرومان بالمزارع الرومانية في طرابلس وما يلزمها من الحيوانات المتصلة بالحياة الزراعية، كالعجول، والخيول ، والإبل [٢] وكذلك الأغنام ، والدواجن، والنحل[٣].

أما عن أحوال طرابلس الزراعية في عهد الوندال ، يتبين لنا أن الزراعة في تلك المناطق لم يصبها تغيير يذكر ، وظلت كما هي المورد الرئيسي للثروة ، ولقد كانت ولاية أفريقية التي تضم منطقة طرابلس بمناطقها، هي أخصب وأغني ولايات الشمال الأفريقي وأكثرها ازدحامًا بالسكان، وتميزت بإنتاج الغلال والزيتون والكروم، وذلك منذ القرون الأولي وحتي مجئ الوندال [٤] ، وكانت الغلال تكفي حاجة السكان من الغذاء وخاصة القمح والشعير؛ حيث كان القمح هو خبز الرومان بينما كان الشعير هو غذاء السكان من الأفارقة الفقراء؛ ولذلك انتشرت زراعة الغلال في أماكن كثيرة من الشمال الأفريقي [٥] ، وقد كان الضغط شديدًا على استهلاك هذه الغلال، وربما كان السبب هو زيادة عدد السكان في طرابلس وباقي المناطق التي تقع في شرق الشمال الأفريقي ، وترجع هذه الزيادة إلى شعوب البربر التي كانت تسكن هذه المناطق، فقد زاد

---

(١) شارل جوليان : المرجع السابق ، ص٧٥ .

(2) Joannes Zonaras, Annalium CF (C.S.H.B), Boon. 1841. p. 294.
جاء الجمل إلى ليبيا من مصر ، وحتى القرن الأول الميلادي كان استعماله محدودًا، ومنذ القرن الرابع الميلادي كانت مدينة لبدة العظمي من أهم مراكز بيع الإبل. المؤتمر التاريخي : ليبيا في التاريخ ، ص١٨٥ .

(٣) رشيد الناضوري : المغرب الكبير ، اسكندرية ١٩٦٦، ص٣٤٠ .

(4) Procopius, De Bello Vandalico, p. 432.

(5) Procopius, Ibid, p. 444 .

عددهم بصورة مفاجأة، وأصبح تعدادهم بعد غزو الوندال لأراضيهم يناهز الثمانين ألف نسمة ، ولقد كان النقص ملحوظًا في أواخر عهد السيادة الوندالية على طرابلس وتلك المناطق الشرقية بسبب ندرة المياه من ناحية، وذيوع الفوضي والاضطراب نتيجة ضعف السلطة الوندالية ، من ناحية أخري [١] .

وفي عهد الوندال ، ظلت الزراعة تحتل المكانة الأولي في الاقتصاد، وكانت تقوم على المحراث البدائي الذي يجره الثيران، وكان يقوم بشق نفس خطوط المحراث التي خطها على عهد الرومان. والجدير بالإشارة هنا أن زراعة الغلال هذه قد تأخرت إلى المرتبة الثانية، بينما تقدمت عليها زراعة أشجار الزيتون واحتلت المكانة الأولي؛ والسبب في ذلك هو زيادة الاستهلاك المحلي للغلال نتيجة للزيادة السكانية، بينما أصبح الزيتون يحتل مكانة اقتصادية هامة، وقد تقاسم محصول القمح وأشجار الزيتون أخصب الأراضي في طرابلس والشمال الأفريقي في عهد الوندال، وإن كانت زراعة الزيتون قد تربعت على عرش المحاصيل الشجرية مع نهاية القرن الخامس الميلادي [٢] .

وبجانب الزيتون انتشرت زراعة أشجار الفاكهة ، حيث أحاطت بساتينها منازل الأغنياء وقصور أمراء الوندال، وخاصة أشجار التين واللوز والكروم، أي أن الشمال الأفريقي في عهد الوندال كان غنيًا بجميع أشجار الفاكهة ، ومن تلك الأشجار المتنوعة تكونت ثروة هائلة حافظ عليها الوندال واستخدموا بعضها كوقود في مياه الحمامات ، نتيجة استمرار تشييد الحمامات في عهد الوندال وخاصة في عهد ملكهم تراساموند ، كما استخدموها كذلك في صناعة السفن، وقد كان جزء

---

(١) فايز نجيب اسكندر : الحياة الاقتصادية في الشمال الأفريقي في عهد الوندال ، القاهرة ١٩٨٨، ص٣٢ .

(٢) فايز نجيب اسكندر : المرجع السابق ، ص٣٣ – ٣٦ .

كبير من هذه الأخشاب يصدر على عهد الرومان إلى روما ، أما نظام الري، فمن المعتقد أنه لم يطرأ عليه أي تغيير يذكر منذ عهد الرومان[١].

وعلى الرغم من وحشية الوندال وهمجيتهم المعروفة ، إلا أنهم في أوقات معينة وليس على الدوام، كانوا مهذبين في طرابلس ، وكانت الزراعة تحظي بجانب كبير من اهتمامهم وعنايتهم وذلك لاعتمادهم على محاصيلها في استهلاكهم ، وكان اهتمامهم بزراعة الغلال والفاكهة ، وكذلك الغابات باعتبارها مصدرًا للأخشاب، ويرجع اهتمامهم بتلك الزراعات إلى اعتقادهم أن طرابلس والشمال الأفريقي هي أرض الميعاد[٢] ؛ لذلك لم يكن مستغربًا أن يولي جزريك ومن جاء بعده منطقة طرابلس وباقي أفريقيا ذلك الاهتمام المتزايد ، لأنهم اعتبروها مصدرًا للدخل، ولذلك أيضًا لم تمتد يدهم إلى المزارعين بسوء وإنما هاجموا الطبقة الارستقراطية فقط، وقد كان البربر الدوناتيون هم المسئولون عن الكثير من الخراب والدمار الذي لحق بالزراعات والمحاصيل؛ والسبب في هذا يرجع إلى أن الوندال لم يقدموا لهؤلاء المزاعين الحماية الكافية، لذلك اضطر كثير من المزارعين إلى الهجرة بسبب تلك الغارات الدوناتية الوحشية ، وخاصة في عهد جونداموند ، ففقدت طرابلس بذلك بعضًا من أهميتها ومكانتها الاقتصادية [٣] .

وكثيرًا ما تأثرت الزراعة في عهد الوندال بالتقاليد اللاتينية والتي اشتقت منها القوانين الرومانية القديمة التي عنيت بتنظيم حياة المزارعين،

---

(١) فايز نجيب اسكندر : الحياة الاقتصادية ، ص٣٨ – ٤٠ .

(2) Byzantion: Revue International de Etudes by Zantine, Bruxelles, 1923, Tome, XXX III, 1963, p. 49 .
Ibid, Tome, 3, p. 2152.

(٣) أسد رستم : طرابلس بين الماضي والحاضر ، طرابلس ١٩٥٣، ص٥٦ .

وكان أبرزها قانون مانكيا Lex Manciana ، وقد حرص الوندال من جانبهم على الإبقاء على تلك القوانين واستمرار العمل بها.

وإذا ما انتقلنا إلى الحديث عن الحيوانات المنزلية والمراعي، فالملاحظ أن المراعي شهدت نوعًا من الازدهار في عهد الوندال ؛ إذ تمتعت الخيول بمكانة بالغة ، لأنها عماد الجيش الوندالي ، وكان سلاح الفرسان هو أساس الجيش منذ عهد جزريك الذي قدم إلى الشمال الأفريقي ومعه أعداد هائلة من الخيول على متن سفنه، ولقد ظلت الخيول تمثل عماد الجيش الوندالي في عهد خلفاء جزريك، لذلك يؤكد بروكوبيوس أن جيش الوندال تشكل بأكمله من سلاح الفرسان، وأنه لم يعرف سلاح المشاة حتي إن جنوده لم يتعودوا القتال وهم مشاة [١] ، والدليل على ذلك ما انتهت إليه معركة قبائل طرابلس بزعامة الثائر كاباون [٢] ضد الوندال بزعامة ملكهم تراساموند ، حيث لاذت خيول الوندال بالفرار من ساحة المعركة بمجرد رؤية جمال كاباون، لأنها كانت تشمئز من منظر الجمال ورائحتها وحركاتها [٣] . ولم تقتصر أهمية الخيول واستعمالها على الجيش والحروب ، بل كانت عماد توزيع البريد وتقوم بنقله من منطقة إلى أخرى بين مناطق الشمال الأفريقي[٤] ، كما استخدمت كوسيلة مواصلات عند أعيان البلاد [٥] ، وعلى ذلك لم يكن للجمال أهمية عند الوندال . وقد استخدم الوندال الثيران إلى

---

(1) Procopius, De Bello Vandalico, p. 350 .

(٢) الثائر كاباون هو الثائر الليبي الذي قاد قبائل لواتة ضد الوندال وقام بثورة عارمة كانت من أشد الثورات على الوندال وانتهت بهزيمتهم . محمود سعيد عمران : مملكة الوندال في الشمال الأفريقي ، الاسكندرية ، ١٩٨٥، ص٦٢ - ٦٣ .

(3) Procopius, Ibid, p. 348 .

(4) Procopius, Ibid, p. 384 .

(٥) فايز نجيب : الحياة الاقتصادية ، ص٤٤ .

جانب الحمير والبغال كحيوانات جر [1] . ومن خلال ما تقدم عن الثروة الحيوانية ، يتبين أنها كانت متواضعة وتغطي حاجة الاستهلاك المحلي.

وفيما يتعلق بنظام الأراضي والجباية المالية ، يتبين أن جزريك اتبع سياسة قاسية مع السكان فيما يتعلق بجباية الضرائب ونظام الأراضي[2] ، حيث صادر أجود الأراضي المملوكة للرومان وأقطعها وأصحابها – الذين كانوا رقيقًا Servi – لولديه هونريك وجنزوني Genzoni ، كما أقطع كبار أمراء الوندال اقطاعات عظيمة ، وبذلك احتفظ لنفسه وأولاده بأجود الأراضي المنتجة ومنها تكون الخاص الملكي أو الدومين[3] Dominicum ؛ أي (أرض سيدنا جزريك)، وتشمل أغنى أراضي مناطق الشمال الأفريقي . ولم يكتف جزريك بمصادرة

---

(1) Procopius, op. cit, p. 383 .

(٢) شارل جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ص٣٢٩ ؛ محمد مرسي الشيخ : الممالك الجرمانية ، اسكندرية ، ١٩٧٥ ، ص١١٨ .

(٣) الدومين يعني في مصطلح العصر الوسيط أملاك السيد الاقطاعي من ضواح وأراضي وأبعاديات وغيرها. وكان السيد الواحد يمتلك عددًا كبيرًا من تلك الأراضي المبعثرة ، فكانت القرية بيد مالك dominus أو سيد lord ، ويتلخص نظام الدومين في أن الأرض الزراعية كانت تنقسم إلى قسمين رئيسيين ، ينتفع المالك بأحدهما، ويوزع الثاني حصصًا مبعثرة بين الفلاحين مقابل ما يؤدونه للسيد من خدمات في أرضه ، وكان الأفراد الذين يعيشون في الدومين يتبعون السيد تبعية تامة. وازدادت مع الزمن سلطة هذا السيد حتى أصبح حائلاً بين أهل الدومين وبين الحكومة المركزية ، وأصبح بيده الحل والعقد، فهو الذي يفرض الضرائب ، وبيده أيضًا القضاء والحكم والإدارة المحلية .

وبقيت آثار هذا النظام أثناء العصر الإقطاعي ، وتمثل هذا في تقسيم الأرض بين السيد المتبوع وأتباعه. فكان هناك الدومين المحلي والدومين الملكي والدومين الإمبراطوري .

ل.م. هارتمان: الدولة والامبراطورية، ترجمة / جوزيف نسيم، الاسكندرية ١٩٨٤، ص١٢، حاشية ١.

أملاك الرومان، بل صادر أثاثهم وعبيدهم [1]، وأصدر أوامره إلي أمراء الوندال أن يكونوا وحدة واحدة ، وأن يستفيدوا قدر استطاعتهم من تلك الأراضي الزراعية والمحاصيل والثمار التي تنتجها ، وألا يعيدوا شيئًا من هذه الإقطاعات إلى أصحابها مهما كلفهم الأمر [2] ، ولقد أجبر الأهالي على تسليم كل ما هو ثمين من ذهب، وفضة، وجواهر، وأقمشة، ومن حاول إخفائها تعرض للنفي والتعذيب حتي القتل [3] .

ويعتقد أن الوندال أبقوا على الأفارقة في طرابلس في أراضيهم كمعمرين في جهات محدودة من مناطق الشمال الأفريقي [4] ، وأما باقي المناطق ، ومنها طرابلس، فالثابت أن نظامها لم يصبه إلا تغيير طفيف؛ حيث تحولت الضيعات إلى عائلات الوندال ، وهؤلاء الملاك الجدد كانوا بالطبع مشغولين بشئون البلاط أو الجيش، وكان يتولي أمر المحاصيل – كما كان من قبل – موظفون Conductores ، متخصصون نيابة عن هؤلاء الملاك. وأصبحت منطقة طرابلس وباقي المناطق في تنظيمات جزريك من أملاك الدولة، بالرغم من أنها بقيت في أيدي أصحابها ، كما تحولت أملاك الإمبراطورية الرومانية إلى الملك الوندالي الذي كان يتصرف فيها بواسطة نوابه [5] .

ويبدو أن الضواحي التي كانت تحيط بالمدن آنذاك كانت من أملاك ساكني المدينة الذين يقومون بزراعتها [6]. وبهذا يتبين لنا أنه في عهد

(1) Procopius, op. cit., p. 333 .

شارل جوليان : المرجع السابق، ص٣٢٩ .

(2) Procopius, Ibid, p. 334 .

(3) Procopius, Ibid, p. 334 .

(٤) شارل جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ص٣٣٠ .

(٥) شارل جوليان : المرجع السابق ، ص٣٣٠ .

(٦) فايز نجيب اسكندر : الحياة الاقتصادية ، ص٣١ ؛ شارل جوليان : المرجع السابق ، ص٣٢٩ .

الوندال انتشر النظام الإقطاعي، حيث استحوذ جزريك وأبناؤه وأمـراء الوندال على أجزاء كبيرة من الأراضي الزراعية ، وقام جزريك بتوزيع البعض الآخر على جنوده وعائلاتهم بعد أن قسمها إلى إقطاعات ، وكل إقطاع يضم ألف عائلة من المحاربين ويخضعون لسلطة رئيس يطلـق عليه المشرف على الألف Mellemari ، واستثني مـن ذلـك التوزيـع الأراضي القليلة الإنتاج فأعادها إلى أصحابها بعـد أن أثقـل كـاهلهم بالضرائب ، وقد اغتنمت تلك الطبقة الزراعية الفرصة حـين ضـعف الوندال بعد ملكهم جزريك، وانطلقت لتدمر مدنهم ووسائل إنتاجهم انتقامًا لما فعله الوندال بهم [١] .

وإذا ما انتقلنا بالحديث عن أحوال طرابلس الإقتصادية بعد طـرد الوندال وعودة الحكم البيزنطي إليها، يتـضح أن البيـزنطيين اهتمـوا باقتصاد طرابلس ومناطق الشمال الأفريقي؛ لذلك اسـتمرت الزراعـة والتجارة على ازدهارها، وخاصة في النصف الأول من القرن السادس[٢]. والمتتبع لأحوال طرابلس الاقتصادية عند عودة البيزنطيين، يلحظ مدي التدهور الذي آل إليه اقتصادها مع نهاية حكم الوندال ؛ ويرجع ذلك إلى عدم الاستقرار الذي عانت منه منطقة طرابلس في تلك الفترة، والـذي انعكس بدوره على الزراعة والتجارة والصناعة [٣] ؛ ولذلك كان اهتمام الإمبراطور جستنيان بالنهوض بمناطق الشمال الأفريقي ، ولقد تحققـت على يديه إنجازات عظيمة في هذا المجال [٤] .

---

(1) Procopius, De Bello Vendalico, p. 34 .
(2) Charls Diehl, L'Afrique Byzantine Paris, 1968, p. 402 .
(٣) نجم الدين غالب : مدينة طرابلس عبر التاريخ، القاهرة ١٩٧٠، ص٦١ .
(4) Procopius, De Aedificiis, p. 71
ريتشارد أ. سليفان : ورثة الامبراطورية الرومانية ، ترجمة : جوزيـف نـسيم، الاسكندرية ، ١٩٨٥، ص٥١ ، عمر كمال توفيق: تـاريخ الدولـة البيزنطيـة، الاسكندرية، ١٩٧٧، ص٨٤ – ٨٥ .

ففي مجال الزراعة تبين لنا أنها ظلت مزدهرة منذ عهد جستنيان، وشهدت نموًا سريعًا وتوسعًا لم تشهده من قبل، حيث نعمت المدن بالهدوء والاستقرار ، وخاصة منذ تولي القائد البيزنطي جون تروجليتا حكم مناطق الشمال الأفريقي ، حيث استطاع وقف هجمات البربر وغاراتهم المدمرة التي كانوا يقومون بشنها على زراعات المدن، ولقد كان الإهتمام بمنطقة طرابلس باعتبارها من المناطق القريبة من قرطاج التي أولاها البيزنطيون كل اهتمامهم [١] ، ولقد ظلت زراعة الغلال على أهميتها ومكانتها ، فقد أشار بروكوبيوس إلى أن القمح كان يزرع في مناطق عديدة [٢] ، وقد اختلفت أهمية أشجار الزيتون من منطقة إلى أخري ، لكن الثابت أنها مع القمح احتلت مكان الصدارة في الزراعة[٣] ، وبالرغم من ذلك يذكر أنه إلى جانب القمح والزيتون، كان الاهتمام بزراعة أشجار الفاكهة [٤] ، حيث كانت الحدائق تحيط بالثكنات وخاصة في طرابلس ومناطق أفريقيا القنصلية[٥]. وقد استمر على عهد البيزنطيين الاهتمام بشئون الري وتخزين المياه، فحين لم تف الآبار والعيون بالماء الكافي الذي تحتاجه المدن، كانوا يجمعون ماء المطر إما في بالوعات يصل بواسطتها إلى صهاريج عمومية أو في قنوات صغيرة تنتهي به إلى صهاريج منزلية [٦] . ولقد شهد الحجاج الصليبيون حين زاروا طرابلس ومناطق الشمال الأفريقي ، بازدهار تلك المناطق

---

(1) Byzantion, Tome, XXX III, p. 48.

جين أفريك : تاريخ أفريقيا ، ص٥٢٠ .

(2) Procopius, op. cit., p. 444 .
Charls Diehl, op. cit., p. 395 .

(٣) فايز نجيب اسكندر : الحياة الاقتصادية ، ص٣٤ .

(4) Procopius, op. cit., pp. 386, 444 .

(٥) شارل جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ص٢١٢ .

(6) Byzantion, Tome, XXX III, p. 48 .

وخصوبة تربيتها وكثرة خيراتها وتنوعها ، كما شهدوا بأنها تنتج مرتين في العام [١] .

وبالنسبة للغابات المنتشرة في مناطق الشمال الأفريقي ، نجـد أن البيزنطيين قد حافظوا عليها، واستغلوها خير استغلال طوال فترة وجودهم وحتي الفتح العربي [٢] ، إذ يتضح لنا ازدهار طرابلس زراعيًا، حيث أصبحت تلك المدن يكسوها اللون الأخضر على الدوام، وهو بطبيعة الحال يتمثل في مراعٍ طبيعية للثروة الحيوانية ، وهذا ما لا نجده في القرون الحديثة ، حيث زحفت رمال الصحراء على تلك الأراضي الخضراء نتيجة تغير المناخ وقلة الأمطار [٣] .

وفي مدن طرابلس، عاد الفلاحون الأحرار إلى الظهور منذ عهد جستنيان ، وكانوا يقومون على أرضهم التي يعملون ويتكسبون من زراعتها ، ولقد راعي جستنيان ألا يقلل من حقوق هؤلاء الزراع بحيث يعود وضعهم إلي ما كان عليه قبل الغزو الوندالي ؛ ولذلك اهتم بتنظيم القوات التي تحميهم، وذلك كمحاولة منه لمراعاة التطور الزراعي[٤].

فيما يتعلق بتطور الصناعة في منطقة طرابلس ، يتبين أن الفنيقيين قد نجحوا في إنتاج الصناعات المتعددة ، كصناعة الزجاج والأقمشة المصنوعة من اللون الأرجواني ، واشتهروا بصناعة زهريات لها قعر حاد ، ويحتمل أنهم أدخلوا هذه الصناعات المختلفة التي أتقنوها إلى مناطق الشمال الأفريقي ، فقد عثر في مقابر طرابلس وتحت مسرح لبدة على أدوات فخارية وبعض المصابيح، وكذلك في غرب صبراتة عثر

(1) Charls Diehl, op. cit., p. 402 ; Philip Curtin, op. cit., p. 40 .
(2) Charls Diehl, p. 518 .
(3) Charls Diehl, pp. 406 - 407 .
(4) Charls Diehl, p. 395 .

على أوانٍ فخارية وزجاجية تعود للعصر الفنيقي، وكذلك أدوات التجميل العاجية ، والخرز، والآنية الخزفية [١] ، ولم تنل الصناعة حظهـا مـن التقدم والرواج مثل الزراعة والتجارة خلال العهد الرواني ، بل ظلـت على نفس مكانتها، فحتي القرن الرابع الميلادي، كانت الصناعة لاتزال متأخرة ، وكانت السلع المصنعة بالكاد تكفي الاستهلاك المحلي، وكانت الأواني الفخارية هي إحدي تلك الصناعات ، ولكنها لم تنال الشهرة التي كانت صناعة الجروم Garum تحظي بها ؛ والجروم هـذا كـان أحـد المشهيات التي يتم تحضيرها من السمك المملح ، وكانت مدينـة لبـدة العظمي قر اشتهرت بهذه الصناعة على وجه الخصوص [٢] ، ومنذ عهد دقلديانوس ، كان الإنتاج الزراعي هو عماد الصناعة ، ولهذا انتـشرت عدة صناعات تتصل بالزراعة، مثل تصنيع زيت الزيتون .

شاعت معاصر الزيتون الرومانية في منطقة طرابلس . وكانـت حبوب الزيتون توضع في وعاء مخرم يرتكز على فرشة حجرية تؤدي بالزيت المعصور إلى مستودع متصل بها. وكان يقـع فـوق حبـوب الزيتون الموضوعة في الوعاء المخرم مكبس متـصل بـذراع طويـل برافعة خشبية ثبت طرفها السميك إلى أسفل بقضيب خشبي مثبت بإحكام في ثقوب بين عمودين حجريين ضخمين ، وترك طرفها الآخر طليقـاً بحيث يسمح بشد الزراع إلى أسفل بواسطة حبل أو بكرة مثبتة في قطعة حجر ضخمة داخل حفرة في مصطبة المعصرة [٣] .

كما راجت صناعة الفخار التي برع فيها الصناع هناك وأنتجـوا الجرار الأسطوانية والزهريات التي كانت تزين بأشكال مستوحاة مـن

---

(١) المؤتمر التاريخي : ليبيا في التاريخ ، ص١٣٣ ، شارل جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ص١١٢ .

(٢) عبد اللطيف البرغوتي : التاريخ الليبي ، ص٣٣٩ .

(٣) البرغوتي : المرجع السابق ، ص٥٩٦ .

الألعاب الرومانية ، وكذلك راجت صناعة التماثيل الصغيرة . وفي مدينة لبدة العظمي، انتشرت صناعة تمليح الأسماك كما ذكرنا من قبل ؛ ونتيجة لذلك اختفت الواردات الأجنبية من الأسواق [١] .

وإذا ما انتقلنا للحديث عن الصناعة في عهد الوندال ، يتبين أن مناطق الشمال الأفريقي كانت تنتج كميات هائلة سنويًا من أشجار الأخشاب ، وكانت تدخل ضمن الصادرات، ولكن في عهد الوندال قل تصدير تلك الأخشاب بسبب انشائهم دارًا لصناعة السفن كانت تستهلك أخشاب تلك المناطق ، وكانت تحتل الصدارة بين الصناعات ، ويرجع ذلك لأن جزريك اعتمد في سلاحه على الأسطول البحري الذي سيطر به على غرب البحر المتوسط [٢] . كذلك انتشرت في مدن طرابلس صناعة المنتجات المتوسطة الجودة والتي كانت تصنع منذ القرن الرابع واستمرت في عهد الوندال ، وعمومًا فقد كان الميزان التجاري في صالح سكان مناطق الشمال الأفريقي في عهد الوندال [٣] . ومن ضمن الصناعات المحلية التي راجت في عهد الوندال الأواني المنزلية المصنوعة من الخشب والفخار أو من المعدن ، وأدوات الزينة، وكذلك انتشرت صناعة الملابس الشعبية . وبعد نصف قرن ، انتشرت صناعة الملابس الحريرية، وكذلك انتشرت صناعة رؤوس الدبابيس والمشابك والأبازيم والمجوهرات ، وبالطبع لم تزدهر الصناعة في عهد الوندال كما كانت على عهد الرومان . أما الصناعات المنزلية ، فكانت منها صناعة الأسلحة حيث كانت على مستوي الفرد وليس الدولة [٤] .

---

(1) Lonicus Chalcondylas, De Rebus Turcicis C F (C.S.H.B) Boon, 1845, p. 78 .

فايز نجيب اسكندر : الحياة الاقتصادية ، ص٤٩ .

(2) Procopius, op. cit., p. 334 .

(3) Procopius, De Bello Vandalico, p. 448 .

(٤) فايز نجيب اسكندر : الحياة الإقتصادية ، ص٤٦ – ٤٧ .

وقد حاول الوندال أن تكون لهم عملات نقدية خاصة بهم يتم تداولها والعمل بها في الداخل والخارج، ولهذا لم يجدوا أمامهم سوي ضاربي السكة في عهد الرومان كي يستعينوا بهم، حيث أنهم لا خبرة لهم بهذا المجال الجديد عليهم ، كذلك استعملوا المعامل القرطاجية في سك تلك العملات، ولعل هذا هو السبب في ذلك التشابه الأكيد بين العملات الوندالية وتلك الرومانية، حيث ظهر ملوك الوندال يحملون اكليل الأباطرة ودروعهم وبيدهم حلة القيادة (Paludamenton) ، وكانت تلك العملات التي تحمل لقب مولانا (Dominus noster) ، أو ملك (Rex) ، والذي تطلقه على ملك الوندال [١] ، وفي كثير من الأحيان كانت تلك العملات تأخذ أشكالاً مستوحاة من عملات دقلديانوس وخلفائه ، حيث كانت تصور امرأة تمسك بيدها سنابل من القمح . هذا ولم يقتصر صك النقود على معامل قرطاج وحدها ، ولكن كانت هناك عدة معامل أخري تقوم بهذا العمل كانت موجودة في القرن الخامس وأوائل القرن السادس[٢].

ومما سبق يتبين ، لنا أن الصناعة لم تحظ بما حظيت به الزراعة والتجارة من رواج وتقدم، واستمرت الصناعات بسيطة تعتمد على الخامات المحلية لسد بعض حاجات السكان فقط، وقد ظل ذلك الوضع حتي الفتح العربي لطرابلس ، حيث لم يطرأ عليها جديد يذكر تتناوله المصادر المعاصرة أو المراجع الحديثة سواء الأجنبية أم العربية ، وهذا ما يدل على أن الصناعة ظلت بسيطة ، وبالكاد تفي بالحاجة .

وكانت التجارة أوفر حظًا من الزراعة ، حيث ازدهرت حظيت منطقة طرابلس بمكانة تجارية هامة بسبب موقعها على طريق التجارة ،

---

(١) شارل جوليان : تاريخ أفريقيا ، ص٣٣٨ .
(٢) شارل جوليان : تاريخ أفريقيا ، ص٣٣٨ .

وقد استغل الفنيقيون هذا الموقع الممتاز وأقاموا فيه مراكزهم التجارية التي تحولت إلى مدن هامة كان أهمها المدن الثلاثة [١] : أويا، ولبدة، وصبراتة[٢]. وقد ساعد موقع المدن الثلاثة التجاري بين البحر والصحراء على أن تلعب دور الوسيط التجاري بين تجارة الصحراء عبر أواسط أفريقيا وتجارة البحر المتوسط[٣]، ولأهمية موقعها التجاري، أطلق عليها الفنيقيون واليونانيون اسم الأمبوريا – ومعناها الأسواق ، أو مركز التجارة؛ وذلك لما اشتهرت به من نشاط تجاري بالداخل والخارج [٤] .

وقد تكونت منطقة طرابلس من عشرات المراكز التجارية التي أسسها الفنيقيون، ولكن نظرًا لموقع المدن الثلاثة التجاري ، حولها الفنيقيون إلى مدن هامة، فكان اهتمامهم بإنشاء مدينة أويا (طرابلس) التي تقع في موقع متميز يتحكم في التجارة القادمة من داخل أفريقيا عن طريق ممرات من الجنوب [٥] . أما مدينة لبدة العظمي ، فقد اختارها الفنيقيون لأنها تعتبر ميناءً طبيعيًا يمكن تحويله إلى ميناء تجاري [٦] . وأما عن مدينة صبراتة ، فكانت تفوق مدينة أويا (طرابلس) في الاتساع والتقدم التجاري، وتأسست على رأس طريق تجاري يمر بغدامس وينتهي عند الساحل [٧] .

---

(1) Lonicus Chalcondylas, op. cit., p. 78 .
(2) Procopius, De Bello Vandalico, p. 334 .
(3) Mathuisdienlx, H.M., La Tripolitaine d'Hier et de demain, Paris, 1912, p. 19.
(4) Lonicus Chalcondylas, op. cit., p. 450 .
أنظر كذلك ، جين أفريك : تاريخ أفريقيا ، ص٤٧٥ – ٤٧٦ ؛ نجم الدين غالب: مدينة طرابلس عبر التاريخ ، ص٢١ .
(5) Procopius, De Aedificiis, p. 335 ; De Bello Vandalico, p. 450 .
(6) Procopius, De Aedificiis, p. 335.
(7) Procopius, Ibid, p. 334 .

وكثيرًا ما تأثرت منطقة طرابلس بما يدور حولها من حروب وصراعات سياسية من أجل السيادة والنفوذ؛ وبسبب ذلك تعرضت لنكبة تجارية على أثر الصراع الفنيقي الروماني والذي انتهي باستيلاء الرومان على أملاك الفنيقيين في الشمال الأفريقي، وتحولت طرابلس من السيادة الفنيقية إلى السيادة الرومانية، وكان هذا التحول بما صاحبه من صراعات وحروب مؤثرًا على تجارة المدن وأصابها بالركود [١] . ولكن ومنذ القرن الثاني والثالث الميلادي، استطاعات مدن طرابلس أن تحظي بمكانتها الماضية وتعود قلعة اقتصادية كبري؛ ففي مجال التجارة الداخلية بين المدن، كان هناك نظام المبادلات التي كانت تتم في الأسواق المحلية، وكانت تشمل الرقيق، والماشية، والثياب، والجلود، والاسفنج، والخمر، والأسماك المصبره (Garum) ، والثمار كالتمر والتين ... وبالنسبة للتجارة الخارجية ، يتضح أنها عادت لمكانتها الماضية ، حيث عادت موانئ طرابلس تعج بحركة السفن الذاهبة والمقبلة ، ولمسايرة تلك النهضة، كانت تلك الموانئ تقدم لعملائها مختلف التيسيرات وأصبح ميناء طرابلس الرئيسي هو ميناء صبراتة والذي كانت تتم فيه معظم التعاملات التجارية الرئيسية ومن خلاله [٢] ، ويرجع ازدهار التجارة هذا إلى استتاب الأمن وتوفر شبكة ممتازة من الطرق الرومانية، ويسر وسهولة نشاط التسويق، وقد شجع هذا تجارة القوافل عبر الصحراء من أواسط أفريقيا والتي كانت تنقل الحيوانات، كالفيلة والأسود والنمور إلى جانب العاج والذهب، وكذلك الرقيق، وتمر على مدن صبراتة وأويا

(1) Procopius, De Bello Vandalico, p. 451 .
(2) Laonicus Chalcondylas, op. cit., p. 87; Zosimos, Commenarius, (C.S.H.B), 1837, p. 91.
ولمزيد من التفاصيل أنظر ، جين أفريك : تاريخ أفريقيا ، ص٢٩٨ ؛ نورمان بينز : الإمبراطورية البيزنطية ، تاريخها وحضارتها وعلاقتها بالإسلام، ترجمة/ حسين مؤنس ، وحسين زايد، القاهرة ١٩٥٠ ، ص٢٨٣ .

(طرابلس) ولبدة [١] ، ثم تنتقل من تلك المدن لتصديرها عبر أحد موانئ منطقة طرابلس إلى باقي أجزاء الإمبراطورية . كما كانت السلع المستوردة تمر عبر تلك الموانئ إلى منطقة طرابلس [٢] .

وكانت التجارة آنذاك تعتمد على تصدير زيت الزيتون ، وكذلك نقل منتجات أواسط أفريقيا إلى أوروبا وآسيا وساحل أفريقيا، وكانت الطرق الممهدة التي تربط بين مدن طرابلس وأواسط أفريقيا هي العامل المساعد على سهولة تسويق تلك المنتجات بين المدن الثلاثة أو مع باقي مدن الإمبراطورية [٣] . وكان القطاع الخاص – ممثلاً في أصحاب السفن أو الربابنة – مسئولاً مسئولية مباشرة عن نقل السلع إلى روما وأوروبا ، وذلك منذ عهد أسرة سيفروس ، وعندما تولي دقلديانوس الحكم، لم يشأ أن يترك مهمة تزويد روما وأوروبا بالسلع والمنتجات في يد القطاع الخاص، ولذلك جعل نشاط النقل البحري تابعًا للحكومة، ويعتبر ذلك من الخدمات العامة. وكانت الصفقات التجارية تعقد في موانئ طرابلس وخاصة مينائها الرئيسي صبراتة [٤] ، وقد حصلت روما على ما تحتاج إليه من الحيوانات التي تستخدمها في المصارعة وألعاب التسلية في السيرك والمسارح من طرابلس وليبيا بصفة عامة من ضمن الصادرات ، وكان من تلك الحيوانات الزراف ، والثيران ، والخيول، والأسود، والنمور، وغيرها [٥] .

والجدير بالإشارة هنا أن منطقة طرابلس ومناطق الإمبراطورية بصفة عامة، كانت قد تعرضت لمشكلة التدهور الاقتصادي على مدى

---

(١) عبد اللطيف البرغوتي : التاريخ الليبي ، ص٣٣٨ .
(2) Zosimus, op. cit., p. 77 .
(3) Laonicus Chalcondylas, op. cit., p. 87 .
(4) Laonicus Chalcondylas, op. cit., p. 87 ..
(5) Joannes Lydus, De magistratibus, C F (C.S.H.B), p. 48 .

نصف قرن تقريبًا، وذلك قبل تولي دقلديانوس الحكم؛ أي منذ انتهاء عهد الإمبراطور الكسندر سيفروس، وكان على دقلديانوس مواجهة مشكلة التدهور الاقتصادي ، والحق أنه حاول بكل جهده إصلاح ذلك التدهور في منطقة طرابلس وباقي المناطق، لكن إصلاحاته تلك لم تؤت النتائج المرجوة، ولم تدم طويلاً حيث كانت حلولاً مؤقتة ، فكانت فترة حكمه مجرد تسكين للأزمة المالية، حيث انخفضت فيها قيمة العملة [(١)] . ومن خطوات دقلديانوس الإصلاحية أنه في عام ٣٠١م. وضع حدًا أقصي للأسعار ، واستعاض عن الضريبة النقدية بأخري عينية، غير أن نظام Lannone وهو (الحصة السنوية) كان يفرض على دافعي الضرائب أسفارًا طويلة ومصاريف ثقيلة ، مما يستدعي إجراءات إدارية يضيع معها ثلث المحصول[(٢)]، كما عمل دقلديانوس على دعم الإدارة الحكومية في طرابلس وباقي المناطق في محاولة منه لمواجهة التدهور الاقتصادي[(٣)] ، وفي سبيل ذلك ، أصدر دقلديانوس عدة قوانين هدفها الحفاظ على ايرادات الإمبراطورية ثابتة في مختلف الظروف؛ وهذا يؤدي بالتالي إلى ثبات الضرائب [(٤)] .

وعلى الرغم من ذلك الرواج الاقتصادي الذي تمتعت به مدن طرابلس منذ عهد دقلديانوس ، إلا أنها كانت تتعرض أحيانًا لنكبات بشرية وطبيعية أثرت على اقتصادها ؛ فقد حدث أن تأثرت بالمذهب

---

(3) Merobaudes, et Caesarea, Pangurici Reliaviae, C F (C.S.H.B), Boon, 1845, p.42.

أنظر كذلك : ر. هـ. بارو : الرومان ، ترجمة / عبد الرازق يسري ، محمود يوسف، الاسكندرية ١٩٥٧، ص١٧٩ .

(٤) شارل جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ص٢٧١ ؛ عبد اللطيف البرغوتي ، التاريخ الليبي ، ص٤٥٤ .

(1) Merobaudes, op. cit., p. 42 .

(٢) ستيفن رنسيمان: الحضارة البيزنطية ، ترجمة / عبد العزيز جاويد ، القاهرة ١٩٦١، ص١٦ ؛ نورمان بيينز : الامبراطورية البيزنطية ، ص١٢٩ – ١٣٠ .

الدوناتي والذي سبب لها اضطرابات في زراعتها وتجارتها ، فحينما ارتبطت ثورة المزارعين برجال الدين الدوناتيين ، أدي هذا إلى انشغالهم عن عملهم الرئيسي وهو الزراعة ، مما ألحق ضررًا جسيمًا بالمحاصيل ، وكذلك كانت القبائل المتلاحمة قد اغتنمت الفرصة المواتية وهاجمت مدن طرابلس منذ منتصف القرن الرابع ، وهو هجوم الاستوريين بحجة أن مدينة لبدة العظمي قتلت أحد الثوار الإستوريين، كذلك تعرضت مدن طرابلس للزلزال الذي أدي إلى دمار اقتصاد مدنها وزراعاتها (١) .

وإذا ما انتقلنا بالحديث إلى التجارة في عهد الوندال ، فيتضح لنا أنه انتشرت في منطقة طرابلس ومناطق الشمال الأفريقي الحوانيت التي يملكها تجار التجزئة (٢)، وكان المزارعون يتاجزون بمحاصيلهم وبضائعهم بين المدن وبعضها (٣) ؛ ولقد كانت المنتجات المصنعة ذات أسعار مرتفعة عن أسعار الحاصلات الزراعية (٤) ، وكان التعامل يتم بالعملات النقدية البرونزية والفضية، وكانت ضعيفة القيمة وقليلة التداول، مما انعكس بدوره على وضع التجارة الداخلية ، ولم تكن التجارة الخارجية أحسن حالاً من الداخلية ، لأن علاقة الوندال بدول غرب البحر المتوسط من جهة وبدول الشرق من جهة أخري ، كانت محدودة

---

(1) Ostrogorsky, History of the Byzantine State, Trans, by J. Hussey, Oxford, 1956, p. 62 .

انظر كذلك :

Herve Gueneron, La Libya, Paris, 1976, p. 21 .
Geographical Section of the intellingce, A Hand book of libya, London, pp. 80 – 82 .
Pierre Jalabert; History du L'Afrique de Nord, Paris, 1923, p. 84 .

(2) Procopius, De Bello Vandalico, p. 401 .

(3) Procopius, Ibid, p. 383 .

(٤) فايز نجيب اسكندر : الحياة الاقتصادية ، ص٥٠ .

للغاية ؛ مما ساعد التجار الشوام على الظهور على ساحة التجارة حيث قاموا بدور الوسيط التجاري بينهم؛ أما التجار الأفارقة فلم يختفوا من الساحة التجارية بل ظلوا في عهد جزريك على ترددهم على موانى الشرق. أما عهد هونريك ، فقد شهد نوعًا من الإزدهار التجاري (١) .

أما عن نوعية الصادرات والواردات ، فيتبين لنا أن مناطق الشمال الأفريقي كانت تصدر الأقمشة المحلية والشعبية (٢) ، أما عن الأقمشة الحريرية الثمينة – والتي كان الوندال يحبون ارتدائها للتفاخر والتظاهر بها – فقد كانت الصين تصدرها إلى بلاد فارس، وكانت فارس تصدرها إلى الوندال عن طريق التجار الشوام (٣) ، أما الصادرات الوندالية ، فكان يتصدرها العبيد، حيث توافروا لدي الوندال بفضل بحريتهم القوية، وكانت أسعارهم متواضعة جدًا ، وكانوا كالأمتعة الشخصية يمكن نقل ملكيتهم من مالك إلى آخر، وإلى جانب تصدير العبيد، كان هناك تصدير الحيوانات المفترسة والأواني الفخارية المتوسطة الجودة ، والأخشاب وخاصة إلى إيطاليا (٤) .

ومما سبق ، يتضح لنا أن الميزان التجاري في الشمال الأفريقي كان في صالح الوندال ، ولكن رغم ذلك الرواج الزراعي والتجاري ، إلا أن الوندال في الشمال الأفريقي قد تعرضوا للمجاعة مرتين على التوالي : الأولي كانت في عهد جزريك سنة ٤٣١م، والمجاعة الثانية كانت في عهد هونريك سنة ٤٨٤م، وكانت أبشع وأشد من الأولى (٥) ، وقد حدثت ولم يمض نصف قرن من الزمان على المجاعة الأولى،

---

(١) فايز نجيب اسكندر : المرجع السابق ، ص٥١ – ٥٣ .
(٢) فايز نجيب اسكندر : المرجع السابق ، ص٥٤ .
(3) Procopius, op. cit., p. 444 .
(٤) فايز نجيب اسكندر : المرجع السابق ، ص٥٤ .
(5) Procopius, op. cit., p. 324 .

وكانت في الصيف التالي لعقاب هونريك للكاثوليك، وذلك طبقًا لما أدرجته بعض المراجع الحديثة المعربة [١] ، نقلاً عن فيكتور أسقف فيتا الذي يصف معاناة اقتصاد تلك المدن من آثار تلك المجاعة، فقد هجر الأهالي مدنهم وحقولهم، وتركوا الأرض بلا راع يرعاها، وكسدت التجارة، وأصبح الناس يهيمون في الشوارع على غير هدى سواء في المدن أو في القري بحثًا عن يابس الأعشاب أو ميت الأوراق من الأشجار ليسدوا به جوعتهم ، ومن لم يستطع المواصلة والبحث كان يلقي حتفه جوعًا ، ولا يجد حتى من يواري سوأته ، فصارت جثثهم بالمئات تملاء الشوارع والساحات والغابات [٢] .

ومنذ عهد جستنيان وعودة الحكم البيزنطي ، عاد رواج التجارة الداخلية والخارجية ، وقد نشطت التجارة الداخلية بين مدن طرابلس وبعضها من جهة وبين مدن طرابلس وقرطاج الأم ومناطق الشمال الأفريقي من جهة أخري ، وتم تبادل المنتجات المحلية والمستوردة ، كذلك حظيت التجارة الخارجية بمكانة عظيمة ، حيث عادت الصلات التجارية بين مناطق الشمال الأفريقي وبين الغرب الأوروبي والشرق والقسطنطينية [٣] ، وفي سبيل النهوض بتلك التجارة ، شرع جستنيان قانونًا خاصًا بالتصدير الزراعي، وراعي في ذلك القانون ألا يقلل من حقوق هؤلاء المزارعين أو التجار، كما عمل على توفير الحماية الكافية لهؤلاء التجار [٤] ، وفي ظل ذلك الإزدهار التجاري، اشتهرت مدن طرابلس وقرطاج وغيرها بعقد الصفقات التجارية وتخليص المعاملات التي كانت تتم نقدًا ، وكان الوكلاء الرسميون فقط هم المنوطون بتسلم

---

(١) شارل جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ص٣٤٤ .

(٢) شارل جوليان : المرجع السابق ، ص٣٤٤ .

(3) Charls Diehl, op. cit., p. 402 . Philip Curtin, Africana History, London, 1978, p. 40 .

(4) Charls Diehl, op. cit., p. 395 .

التجارة الخارجية ، وقد استفاد سكان طرابلس وباقي المدن كثيرًا من هذا الرواج التجاري والازدهار الاقتصادي في ذلك الوقت، علـــى عكـــس سكان المناطق الريفية الذين كانت استفادتهم من ذلك الرواج التجـــاري محدودة [١] .

وفيما يتعلق بنظام الأراضي والجباية المالية، فقد عمل جـــستنيان على زيادة الموارد المالية ، واستلزم ذلك تنظيم بعض الضرائب القديمة، وفرض ضرائب جديدة، وفي الوقت نفسه حرص على تخفيف المعانـــاة عن شعوب مناطق الإمبراطورية عامة ، والقـــضاء علـــى محـــاولات استغلال الإنسان لأخيه الإنسان ، وإن كان لا يوجد أي دليل على مـــدى نجاح جستنيان في هذه الخطوة الاقتصادية ، وبفضل هـــذه الـــسياسة ، تمكن جستنيان طوال فترة حكمه من الوفاء بكامل التزاماتـــه الماليـــة ، ومواصلة عملياته الاستردادية لمناطق طـــرابلس والـــشمال الأفريقـــي وغيرها، وذلك بفضل خزانة الدولة التي ظلت عـــامرة [٢] ، علـــى أن إصرار جستنيان على زيادة موارد الدولة حكم عليه فرض ضرائب لـــم تكن موجودة في عهد من سبقه من الأباطرة ؛ فقد فرض ضريبة أطلـــق عليها ضريبة الهواء أو ضريبة السماء ؛ وهذه الضريبة قدمت لخزانـــة الإمبراطورية ثلاث آلاف رطل من الـــذهب ســـنويًا[٣] ، كمـــا فـــرض جستنيان ضريبة جديدة على أصحاب المحلات التجارية بلغت خمـــسين

---

(1) Byzantion, Tome, XXX III, p. 48 .

جين أفريك : تاريخ أفريقيا ، ص٥١٨ .

(٢) محمد فتحي الشاعر : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ، القاهرة ١٩٨٩، ص١١٢.

(3) Procopius, Secret History, TR. H.B. Dewing, London, 1969, p. 143. Bury : History of the Later Roman Empire, London, 1923, Vol 2, p. 350 .

في المائة من صافي الأرباح السنوية، مقابل السماح لأصحاب هذه المحلات التجارية بعدم التقيد بتحديد أسعار السلع التجارية [١] .

كما يتضح أن جستنيان أخذ على عاتقه مهمة إعادة حقوق المزارعين المغتصبة والتي كان الوندال قد سلبوها منهم، ومنها ملكياتهم للأراضي الزراعية [٢] ، فاهتم بإعادة تسكين المزارعين بالحقول وتوفير الحماية لهم [٣] ، ومنذ أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع، أبلى البيزنطيون بلاء حسناً فيما يتعلق بملكية الأرض، فقاموا بتنظيم المناطق، وتم إعادة تلك الأراضي التي كانت مغتصبة من قبل الوندال إلى ملاكها السابقين ، وإن لم يخل الأمر من بعض المنازعات القانونية والأطماع المادية حول ملكية تلك الأراضي ، وأدي ذلك في نهاية المطاف إلى ازدهار نسبي في الحياة الاقتصادية عمومًا [٤] ، ولم يخرج جستنيان عن نهج سابقيه، مثل دقلديانوس ، وحاول قدر الإمكان تثبيت إيرادات الأراضي الزراعية ، فصدرت قراراته التي تربط المزارعيين بمهنة آبائهم وأسلافهم [٥] ، وعلى الرغم من أن الرقيق أصبحوا أحرارًا في عهد جستنيان، إلا أنهم كانوا عبيدًا بصورة أخري حيث زاد ارتباطهم بالأرض [٦] ، وقد اضطر جستنيان إلى فرض ضرائب جديدة على مدن

---

(١) لم يحدد بروكوبيوس ما إذا كانت هذه الضريبة قاصرة على المحلات التجارية في العاصمة ، فحسب أم أنها امتدت لتشمل طرابلس وباقي مدن الإمبراطورية .
محمد فتحي الشاعر : المرجع السابق ، ص١١٣ .

(2) Byzantion, Tome, XLIX, p. 281.
Charls Diehl, op. cit., p. 394 .

(3) Charls Diehl, op. cit., p. 395 .

(4) Byzantion, Tome, XXX III, p. 48 .

(5) Byzantion, Tome, XLIX, p. 281 .
ستيفن رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص٩٥ – ٩٦ .

(٦) السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية (٣٢٣ – ١٠٩١م) ، بيروت ، ١٨٨٢م، ص٩٥.

الشمال الأفريقي ، حيث أثار حفيظة السكان عليه وعلى كل البيزنطيين ، وكان جستنيان من خلال فرض ضرائبه الجديدة إنما يرمي إلى مواجهة متطلبات مشروعاته ، مما اضطرره إلى خفض تلك الضرائب ، إلا أن موارد الإمبراطورية لم تستطيع تعويض نقص عوائد الضرائب .

فكانت إعفاءات جستنيان الضريبية وبالاً على مالية الإمبراطورية[١]، ومن القوانين الضريبية التي شرعها جستنيان قانون دفع ملاك الأراضي المنتجة الضريبة المستحقة عن الأراضي المجاورة لها والتي أصابها البوار، وهي الضريبة التي عرفت باسم inpost، وهذه الضريبة تقدر على الأرض أو المحصول، وهذه التقديرات كانت تدفع بواسطة ملاك الأراضي كل يدفع مبلغاً محددًا ومقدرًا بالنسبة للضريبة التي كانت مقررة عليه، لأن المدن كانت معرضة لتقديرات جغرافية في الضرائب، وعلى النقيض تمامًا نجد أنه في خلال حكم جستنيان قد تعرضت كل من الإمبراطورية لمرض الطاعون الذي أفني المحاصيل من الوجود وجعل الأراضي بورًا نتيجة مرض غالبية المزارعين، ورغم هذا ، نجد الإمبراطور جستنيان لم يرحم هؤلاء المزارعين ويعفيهم من ضريبته السنوية exaction [٢] ، وقد أصبح جمع الضرائب هو الشغل الشاغل الأكبر للبيزنطيين في عهد جستنيان وخلفائه، لذلك اهتم الحكام المحليون في مدن الشمال الأفريقي بجباية الضرائب ، واستخدموا أساليب القوة والعنف في كثير من الأحيان ودون مراعاة للإصلاحات اللازمة والفردية للشعب، لذلك لم يجد المزارعون بدًا من هجرة أراضيهم ومزارعهم هربًا من وطأة الضرائب الثقيلة المفروضة عليهم، ولم يكن التجار بأحسن حالاً من المزارعين ، حيث أغلقوا

(١) نورمان بينز : الامبراطورية البيزنطية ، ص٤٩ – ٥٠ .
(1) Procopius, Secret History, p. 275 .

متاجرهم وزاد اتصالهم باللصوص ، وكل هذا كان بمثابة الشرارة التي أشعلت الثورات والاضطرابات في كثير من الأوقات [١] ، وفي الوقت الذي كانت فيه طبقة المزارعين ضائعة الحقوق، لا اعتبار لها، ازداد في المقابل سلطان ملاك الأراضي في القرن السادس ، مما أدي إلى خروج العديد من العصابات المسلحة التي تهدد الأمن وتتحدي سلطة الحكام المحليين ، وتتبع الملاك أي المزارعين الكبار [٢] .

وعن نوعية الضرائب ، يتبين أنها كانت مقسمة إلى عدة أنواع حسب طبيعتها؛ فمنها ما هو مباشر ، مثل الضرائب العينية ويقصد به أن تكون من نفس نوع أو جنس المادة المحصلة عليها الضرائب ، مثل المحاصيل الزراعية ، وأيضًا هناك الضرائب النقدية التي تقدر نقدًا على تلك المحاصيل ، بالإضافة إلى ضريبة الرأس ، وهي تعادل هنا ضريبة الأرض، حيث كان الناس في تلك الفترة مرتبطين بالأرض . ثم تأتي الضرائب غير المباشرة ، ويقصد بها مكوس الجمارك على الصادرات والواردات وأعمال السخرة التي تشمل صيانة الجسور وزراعة الأرض، وتلك الأعمال كانت مفروضة على دافعي الضرائب جبرًا . وتقدر الضرائب على الأرض وفقًا لمعايير ثابتة ، مثل طبيعة الأرض وقوة إنتاجها ووفرة محاصيلها [٣] .

وقد عاني دافعو الضرائب في جميع المناطق ومنذ زمن قسطنطين، وذلك بسبب تلك المسئولة الجماعية التي كانت ملقاة على عاتقهم ، وكانت النظم الضريبية في ذلك الوقت تتوزع بين الأراضي المنتجة وتلك المهملة في تحصيل الضرائب ، فكلاهما تحصل عنه الضرائب، وكان من تبقي من المزارعين في تلك القري أو الأرض

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، الإسكندرية ، ١٩٦٦، ص٨٠ .
(٢) نورمان بينز : الامبراطورية البيزنطية ، ص١٣٩ .
(٣) عبد اللطيف البرغوتي : التاريخ الليبي ، ص٤٨٥ .

المهملة ملزمًا بدفع الضرائب المقررة ، وكان الحاكم العام وديوانه التابع له مسئولاً عن أسلوب جباية الضرائب المتبع في كل منـــاطق الـــشمال الأفريقي، ومع بداية القرن السادس ، ونظرًا لانخفاض قيمة العملة فـــي ذلك الوقت، فقد لجأت الحكومة إلى حيلة ذكية، وهي تحصيل الضرائب عينًا بدلاً من نقدًا ، وخلال تلك الفترة اتبعت الحكومة أسلوبًا صارمًا في تحصيل الضرائب ، حتي اضطر غير القادرين على دفع الضرائب إلى اللجوء إلى الكنائس [١] .

ورغم تلك الضرائب التـــي فرضـــها جـــستنيان، إلا أن جهـــوده ومحاولاته في سبيل النهوض الاقتصادي بمدن طرابلس وأفريقيـــا لـــم تنجح، فقد ورث خلفاؤه عنه امبراطورية متدهورة اقتصاديًا وماليًا نتيجة مشروعاته التي أرهقت مالية الإمبراطورية ، مما اضطره إلى فـــرض ضرائب جديدة على الفلاحين بل ومضاعفتها أحيانًـــا مـمـــا أدي تـــأخر الزراعة والتجارة ، وانتشار الفقر والبؤس ، وعدم الاســـتقرار أحيانًـــا أخري [٢]، ورغم انتشار ذلك التدهور، إلا أنه لم يكن يشمل كـــل مـــدن الشمال الأفريقي ، ولم يمتد طوال فترة الوجود البيزنطي بها، بل كـــان في فترات مؤقتة ، بدليل أن العرب حين فتحوا طرابلس وجدوا فيها مدنًا مزدهرة ، مثل أويا طرابلس ، وصبراتة ، ويكسوها العمران وأشـــجار الزروع فكانت جنة مبهجة في نظر العرب [٣] .

ومما سبق يتبين مدي فشل النظام المالي البيزنطـــي ، وخاصـــة الضرائب، لأنه كان نظامًا صارمًا وشديدًا ، فبالرغم من الانتعاش الذي عم الحياة الاقتصادية في طرابلس والشمال الأفريقي فـــي بدايـــة عهـــد

---

(١) عبد اللطيف البرغوتي : المرجع السابق ، ص٤٨٥ .
(2) Charls Diehl, op. cit., p. 37 .
(3) Charls Diehl, op. cit., pp. 402 – 406 .
السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص٧٧ .

جستنيان، إلا أن هذا الانتعاش وذلك الرخاء لم يدم طـويلاً ؛ لأن جبـاة الضرائب لم يرحموا السكان بل عاملوهم بكل قسوة، والسبب في فـشل ذلك النظام هو أن جستنيان حين طبقه كان في حاجة ماسة إلى الأموال لإكمال مشروعاته ، وتناسي أن ذلك النظام المالي وخاصة الضرائب هو ذلك النظام الذي وضعه دقلديانوس وأكمله قنسطنطين كمحاولـة منـهم لإصلاح اقتصاد الإمبراطورية المتدهور ، وللأسف فقد فشل ذلك النظام في الإصلاح، ولم يأت بالنتائج المرجوة، ورغم ذلك طبقه جستنيان دون تعديل أو مراعاة لظروف عامل الزمن أو السكان ، فكان النظام فاشلاً ، كذلك طريقة جباية تلك الضرائب لم تتغير ، فلم يحسن الموكلون بجباية الضرائب دائمًا استخدام السلطة التي بأيديهم ، فكانت النتيجة هي هجرة أعداد كبيرة من السكان لمدنهم وأراضيهم واللجوء إلى الصحراء ، حيث لا تصل إليهم أيدي جباة الضرائب ، كما لجأوا في بعض الأحيان إلـى أساليب الخداع والغش لكي يفلتوا من عمال الخراج مثل لجـوئهم إلـى الصحراء أو الأديرة والانخراط في سلك الجيش، وهـذا مرجعـه إلـى التقاليد الإدراية السيئة، ولقد حاول جستنيان إصلاح ذلك الفـساد الإداري من خلال قوانينه التي شرعها ، وخاصة قانونه الثالث عشر .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر الأجنبية :

- **Joannes Lydus,**

  De Magistratibus, of Corupus Eeriptorum Historiae Byzantinae, Boonm 1837.

- **Joannes Zonras,**

  Annalium, CF (C.S.H.B), Boon 1841.

- **Linicus Chalocondyles,**

  De Rebus Turcicis, CF (C.S.H.B), Boon, 1834.

- **Matthew Paris,**

  English History from the year 1235 to 1273, trans from the Latin by J.A.Giles , 2 vols ,London ,1852-1853.

- **Merobaudes et corripus,**

  Pangurici Reliaviae, cf. (C.S.H.B), Boon, 1845.

- **Procopius of Caesarea,**

  De Bello Vandalico, CF. (C.S.H.B), Boon, 1838,

  De Bello Cothico, CF (C.S.H.B), Boon, 1833.

  De Aedificiis CF. (C.S.H.B), Boon, 1838.

  The Anecdota or Secret History, Tr. H.B.

  Dewing, London, 1969.

- **Zosimus,**

  Commenarius Historicus, of (C.S.H.B), 1837.

ثانيًا : المصادر العربية :

- **ابن عبد الحكم** (أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الكيم بن عبيد القرشي المصري) :

  فتوح مصر والمغرب والأندلس ، ليدن، ١٩٣٠ .

- **الطرابلسي** (أبي عبد الله محمد بن خليل بن غليون) :
تاريخ طرابلس الغرب المسمي التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار ، القاهرة ، ١٣٤٩هـ .
- **المقدسي** (عاش في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) شمس الدين أبو عبد الله محمد الشافعي المقدسي المعروف بالبشاري) :
كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط بريل ليدن ١٩٠٩م.
- **ياقوت الحموي** (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) وهو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الملقب شهاب الدين) :
كتاب معجم البلدان في معرفة السهل والوعر والخراب والعمار من كل مكان ، القاهرة، ١٩٠٦، بيروت ١٩٦٧م.

ثالثًا : المراجع الأجنبية :

- **Andre Aymard et Jannine Auboyer,**
Ron et son Empire, Paris, 1857.
- **Byzantion,**
Rovue Internationale de Etudes Byzantine, Bruxelles, 1923.
- **Curtin, P.**
Africana History, London, 1978 .
- **Diehl,. Ch,**
L'Afrique Byzantine, Paris, 1896.
- **Geographical Section of the Naval intellingce,**
A Hand book of Libya, London.
- **Herve Gueneron,**
La Libya, Paris, 1904.
- **Hinry Serrano Villard,**
Libya, the New Arab Kingdom, New York, 1965.

- **Mathuisdienlx. H. M.,**

La Tripolitaine D'Hier et de Demain, Paris, 1912.

- **Ostrogorsky, G,**

History of the Byzantine state, trans, by J. Hussey, Oxford, 1956 .

- **Piere Jalabert,**

History du L'Afrique de Nord, Paris, 1923.

رابعًا : المراجع الأجنبية المعربة :

- **أفريك (جين)** : تاريخ أفريقيا ، ٢ج ، اشراف جمال مختار ، اليونسكو، ١٩٨٥م.
- **بارو** (ر. هـ.) : الرومان ، ترجمة عبد الرازق يسري ومحمود يوسف، اسكندرية ، ١٩٥٧م.
- **بينز** (نورمان) : الامبراطورية البيزنطية ، تاريخها وحضارتها وعلاقتها بالاسلام، ترجمة حسين مؤنس، ويوسف زايد ، ط١، القاهرة ، ١٩٥٠ .
- **جوليان** (شارل أندرو) : تاريخ أفريقيا الشمالية – تونس – الجزائر – المغرب الأقصى – ط١، تعريب محمد مزالي – البشير سلامة ، تونس ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- **ساليفان** (ر.أ) : ورثة الامبراطورية الرومانية (الغرب الجرماني ، العالم الإسلامي ، الدولة البيزنطية) ، ترجمة جوزيف نسيم ، اسكندرية ، ١٩٨٥م.
- **رنسيمان** (ستيفن) : الحضارة البيزنطية – ترجمة عبد العزيز جاويد ومراجعة زكي علي – القاهرة ١٩٦١م .

خامسًا : المراجع العربية :

- **أسد رستم** : طرابلس بين الماضي والحاضر ، ليبيا ، طرابلس، ط٢ ، ١٩٥٣م.
- **السيد الباز العريني** : الدولة البيزنطية (٣٢٣ – ١٠٩١م) ، بيروت ، ١٨٨٢م.
- **السيد عبد العزيز سالم** : المغرب الكبير ، جزءان، جـ٢، الاسكندرية ، ١٩٦٦م.
- **المؤتمر التاريخي** : ليبيا في التاريخ ، الجامعة الليبية ، طرابلس ، ليبيا ، ١٩٦٧م.
- رشيد **الناضوري** : المغرب الكبير ، الاسكندرية ، ١٩٦٦م .
- **عبد اللطيف محمود البرغوتي** : التاريخ الليبي القديم ، بيروت ، ١٩٧٠م.
- **عمر كمال توفيق**: تاريخ الدولة البيزنطية، الاسكندرية ، ١٩٥٨، ١٩٧٧م.
- **فايز نجيب اسكندر** : الحياة الاقتصادية في الشمال الأفريقي في عهد الوندال ، القاهرة ، ١٩٨٨م.
- **محمد بن مسعود** : تاريخ ليبيا العام ، جزءان، ط٣، طرابلس ليبيا ، ١٩٥٢م.
- **مصلحة الآثار** : المرشد إلى آثار لبدة الكبري ، طرابلس ليبيا ، ١٩٦٧م .
- **محمد فتحي الشاعر** : السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية، القاهرة ، ١٩٨٩م .
- **محمد محمد مرسي الشيخ** : الممالك الجرمانية ، اسكندرية ، ١٩٨٦م .
- **محمود سعيد عمران** : مملكة الوندال في الشمال الأفريقي ، الاسكندرية، ١٩٨٥م .
- **نجم الدين غالب الكيب** : مدينة طرابلس عبر التاريخ ، القاهرة ، ١٩٧٠.